المحافظون الجدد في أمريكا: تيـار متجدد وتأثيـر مستمـر

فصل في كتاب (بحث جماعي): كتاب المسبار رقم (١٦٩)، يناير/كانون الثاني ٢٠٢١

البروفيسر/عبدهـ مختـار

أكاديمي وباحث/ السودان

مدخــل:

دراسة أي لاعب السياسة الأمريكية مهمة جداً لكل العالم بما تملكه الولايات المتحدة الأمريكية من تأثير على المتغيرات في السياسة الدولية ولنفوذها القوي في توجيه مسار العلاقات الدولية بصورة عامة. فالقوة الأمريكية المتعددة الأبعاد لها دائما اسقاطات على دول أخرى تبعد آلاف الأميال عن شواطئها بمنطق المصالح الحيوية (vital interests) وضرورات حماية الأمن القومي الأمريكي الذي يجعل "حدود" أمريكا ثلاثية الأبعاد (حدود جغرافيا وحدود أمن وحدود مصالح). فالمحافظين الجدد (Neo-Conservatisms) عقلية سياسية لها فلسفتها وتوجهاتها ومصالحها التي تؤثر في الواقع الدولي بصورة عميقة ومستمرة. من هنا تأتي **أهمية** دراسة مثل هذا التيار لما له من تأثير في منطقة الشرق الأوسط والعالم العربي مثلما له من تأثير في مناطق أخرى من العالم.

فأمريكا "البراجماتية" كانت عبر الحقب المختلفة – على اختلاف الحزب الحاكم في السلطة (جمهوري أو ديمقراطي) – ظلت أسيرة للمبادئ التي وضعها الآباء المؤسسون خاصة منذ الفيلسوف الرئيس الأمريكي الثالث (توماس جيفرسون: ١٨٠١ – ١٨٠٩)[١] – مروراً بتأثيرات وودرو ويلسون: ١٩١٣ – ١٩٢١ Woodrow Wilson – الذي جاء بالنقاط الـ (١٤) الشهيرة التي نتجت عنها عصبة الأمم – وصولاً إلى المحافظين الجدد في عصرنا الراهن.

توارثت الأجيال اللاحقة مبادئ عن الآباء المؤسسين والتي تشمل – في ما تشمل – القيم والاعتقاد السائد بأن لأمريكا رسالة عالمية تجاه شعوب العالم المقهورة تتمثل في ضرورة

[١] كان الرئيس الأمريكي توماس جيفرسون (Thomas Jefferson) رجل دولة، وفيلسفون، ودبلوماسي ومحامي، ومعماري وأحد مؤسسي أمريكا حيث كتب مدونة الاستقلال، ووضع المبادئ لدولة مدنية محايدة تقوم على القانون والمساواة (على الرغم من أن أسرته كانت تمتلك ٦٠٠ من العبيد تم جلبهم من أفريقيا) وسن قانون عام ١٨٠١ يمنع جلب العبيد لأمريكا من الخارج، نادى بمباديء الجمهورية وحقوق الإنسان، وكان له تأثير عالمي؛ وحرص على اقتناء المصحف ليتعرف على الدين الإسلامي..

نشر قيم الديمقراطية والعدالة وحقوق الإنسان باعتبارها قيم عالمية (universal values)، وبالتالي فإن زعامة أمريكا للعالم مبدأ واضح وقدر محتوم (Manifest Destiny)؛ وفي سياق ذلك سعت لتغيير رؤساء دول في مناطق العالم المختلفة وتسمي ذلك "قيادة العالم الحر" ... وكانت أمريكا دائما تحدث نفسها بأنها "أمة عظيمة" وبالتالي عليها أن تتصرف كأمة عظيمة "act like a great nation"[٢]

وفي سياق فلسفة المصالح (pragmatism) تبنى عددُ من الرؤساء الأمريكان مذاهب (doctrines) بحسب مقتضيات الواقع الدولي. كأمثلة من تلك المبادئ: بدأت تلك المبادئ في عهد الرئيس جيمس مونرو وعُرِفت بمبدأ مونرو (Monroe Doctrine) في عام ١٨٢٣ الذي دعا البرجوازية الأمريكية إلى التوسع في أمريكا الوسطى والجنوبية، ومنافسة البرجوازية الأوروبية واستكمال سيطرتها على السوق العالمي. وقد استمر مبدأ مونرو الركيزة الأساسية للسياسة الأمريكية الخارجية قرابة القرن كامل تمكنت خلاله البرجوازية الأمريكية من بسط هيمنتها على مصادر الثؤوات الطبيعية الهائلة في القارة، وتصفية وجود وسيادة ملاكها الأصليين من الهنود الحُمر، كما تم في ما بعد تهميش العناصر الزنجية في القارة.

ثم كان مبدأ وليام ماكس (١٩٠١) حيث بدأت مرحلة الإمبريالية والتطلع إلى أسواق في الخارج لفائض انتاجها؛ مروراً بمبدأ ترومان تحت شعار "أمريكا الجديدة" الذي أشعل الحرب الباردة؛ ثم مبدأ إيزنهاور (١٩٥٧) والخاص بـ "ملء الفراغ"؛ ومبدأ نيكسون (١٩٧١) و"الإنابة المدعومة" و نظرية "فتنمة الحرب"؛ ثم مبدأ كارتر في سبعينيات القرن العشرين "حذاء اليانكي" في الشرق الأوسط؛ ثم استراتيجية الثمانينيات ومفاهيم رونالد ريجان (١٩٨١) لإستعادة عظمة أمريكا أو استعادة الهيبة وهيمنتها (hegemony) على العالم.[٣] وتبلورت استراتيجية أمريكية جديدة اشتملت على "التطويق" (encirclement) وعلى "الاحتواء" (containment) والمجابهة واستراتيجية الترابط الإقليمي واستراتيجية التسليح القصوى؛ ثم النظام الدولي الجديدة والعولمة التي وصفتها بعض الدوائر الأوروبية بأنها ليست إلا محاولة لأمركة العالم (Americanization).

---

[٢] Garry Wills, "The Bully of the Free World", Foreign Affairs, vol. 8, no. 21 (March- April 1999), p. 50.

في: عبدهـ مختار موسى، مستقبل العلاقات السودانية الأمريكية، مجلة المستقبل العربي، العدد (٣١٩)، السنة الثامنة والعشرون، أيلول/سبتمبر ٢٠٠٥، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية)، ص ٦٠.

[٣] أحمد المصري، الاستراتيجية الأمريكية والشرق الأوسط: المنطق النظري والتطبيقات العملية، الفكر الاستراتيجي العربي، العدد ٣(كانون الثاني/يناير ١٩٨٢)، ص ص ٧٢ – ٧٨؛ في: عبدهـ مختار، المرجع السابق، ص ٦١.

وقد لاحظ صامويل هنتجتون أن الولايات المتحدة الأمريكية قد وجدت نفسها وحيدة تتولى قضايا دولية منفردة – وأحياناً مع شريك واحد أو شركاء قليلين – في مواجهة أزمات وقضايا في مختلف أنحاء العالم، مثل فرض العقوبات الدولية ضد كوبا، وإيران، والعراق وليبيا، واتفاقيات إزالة الألغام الأرضية، والشرق الأوسط، واستخدمت القوة في كل من العراق ويوغسلافيا وأفغانستان. واستهدفت الولايات المتحدة (٣٥) دولة بعقوبات اقتصادية في الفترة من ١٩٩٣ إلى ١٩٩٦ – كان آخرها السودان وإيران.[٤]

وحتى نهاية التسعينات من القرن العشرين استمرت التصريحات والمقولات التي حرصت على إبقاء الهيمنة والمحافظة على الزعامة الأمريكية حية وقوية ومستمرة. فقد وصفت وزيرة الخارجية الأمريكية الأسبق مادلين ألبرايت الولايات المتحدة بأنها "الدولة التي لا يمكن الاستغناء عنها (indispensable). وقالت وهي تخاطب مجموعة السبع في عام ١٩٩٧: "إن لنا قامة أطول لذلك نرى ما لا يراه الآخرون".[٥]

المحافظون الجدد (نيو كونزيرفاتيزم) أو المحافظة الجديدة يمكن تبسيطها بالقول أنها المحافظة على قيم الولايات المتحدة المتمثلة في الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان. وهي قيم تم الالتزام بها منذ الآباء المؤسسين حتى الآن مع الاختلاف في أسلوب تطبيق هذه القيم. وقد تمثل ذلك في إعلان مبادئ لتطبيق هذه القيم. تربت الأجيال الأمريكية على مبدأ أو مفهوم أساسي هو أن المجتمع الأمريكي يقوم على حضارة سامية وثقافة رفيعة، وأن لأمريكا رسالة عظيمة في العالم، وعليها أن تقود العالم نحو السلام والأمن والتقدم. تربت الأجيال المتعاقبة على هذه المفاهيم التي (شحنت) النخبة الأمريكية بالشعور بالزهو Jingoism والافتخار بأمريكا Americanism..

من هم المحافظون الجدد؟:

بصورة عامة المحافظون الجدد هم مجموعة سياسية أمريكية من اليمين المسيحي المتطرف تؤمن بقوة أمريكا وهيمنتها على العالم. ويمكن القول أنهم أقوى تيار يجسد مفهوم

[٤] عبدهـ مختار موسى، مستقبل العلاقات السودانية الأمريكية بعد اتفاقية السلام، المرجع السابق، ص ٦١.

[٥] Samuel P. Huntington, "The Lonely Super Power", Foreign Affairs, vol. 78, no 2 (March-April 1999), p. 42.

"الإمبراطورية الأمريكية" في الواقع. وقد تباينت عملية توصيف ظاهرة المحافظين والمحافظين الجدد بين الباحثين. فمنهم مَن يصفهم بأنهم "حركة"، ومنهم من يقول أنهم "تيار" ومنهم من يقول أنهم "آيديولوجيا" (Conservatism) أو فلسفة – لها مذهبها ومبادؤها ومنهجها في التفكير وفي السلوك.

هنالك من يرى أن المحافظة الجديدة هي حركة سياسية وُلدت في الولايات المتحدة في ستينات القرن العشرين وسط صقور الليبراليين الذين وجدوا أنفسهم محبطين من سمة المهادنة التي اتصفت بها السياسة الخارجية للحزب الديمقراطي وكذلك بتصاعد اليسار الجديد والثقافة المضادة في ستينات القرن العشرين لا سيما معارضي حرب فيتنام. كذلك بدأ البعض يتساءل عن المعتقدات الليبرالية على المستوى السياسة الخارجية في ما يتعلق بـ "المجتمع العظيم" (Great Society). يؤمن المحافظون الجدد بضرورة تعزيز الديمقراطية والتدخل في الشؤون الدولية وفرض السلام عن طريق القوة. كما أنهم يحتقرون الشيوعية والتطرف السياسي.[٦]

في سلسلة خاصة في موقعها لخصت صحيفة كريستيان ساينس مونيتر النظرة العالم الجديدة للمحافظين الجدد بأنهم: "يعتقدون أنه لا ينبغي على الولايات المتحدة الأمريكية أن تخجل من استخدامها لقوتها التي لا مثيل لها – وبالقوة إذا دعت الضرورة – لتعظيم قيمها ومصالحها حول العالم".[٧] يعتقد المحافظون الجدد أن المهددات الجديدة التي تواجه الولايات المتحدة لا يمكن احتوائها بل يجب منعها عبر ضربات عسكرية استباقية. وينظر المحافظون الجدد لأمريكا في العالم بأنها قوة عظمى لا تعادلها قوة أخرى وحصينة ضد المهددات. وأن على الولايات المتحدة مسؤولية أن تتصرف كـ "زعيمة كونية خيِّرة" (a benevolent global hegemon).[٨]

ويرجُع البعض المحافظة الجديدة إلى الفيلسوف الأمريكي الألماني الأصل (ليو شتراوس) المولود في عام ١٨٩٩ والذي فر من بطش النازية إلى فرنسا ثم مكث طويلا في بريطانيا قبل أن يستقر في قسم الفلسفة بجامعة شيكاغو الأمريكية. مستندا إلى فلسفة أفلاطون وإلى تجربته في أوربا التي سادها خطاب الفاشية ومعاداة السامية، توصل شتراوس إلى أن الفاشية ليست هي السبب الوحيد للفوضى في العالم بل الضعف المتوارث في الديمقراطيات الليبرالية. ويرى "أن الديمقراطية على علاتها إلا أن خير سند لها هي الجماهير الجاهلة مشحونة بالوطنية والدين؛

---

[٦] Justin Vaïsse, Why Neoconservatism Still Matters, brookings.edu.apu.org

[٧] Guy Caron, "Anatomy of A Neo-Conservatism White House", The Christian Science Monitor, May 1, 2005.

[٨] المصدر نفسه.

وأنه فقط الدولة العسكرية قادرة على منع الاعتداءات ... وأن قوة هذه الدولة تنبع من استثارة الحس الوطني من خلال وجود مهدد خارجي، وفي حالة عدم وجود عدو (مهدد خارجي) على الدولة صناعته."[٩] وهذه فعلاً ما ظل يفعله المحافظون الجدد في السياسة الخارجية الأمريكية على مر العصور. وقد تجلى ذلك في تعامل جورج بوش مع صدام حسين حيث زعم بأنه يمتلك أسلحة كيماوية (الأمر الذي وضح خطأه لاحقاً) وقد خلقت الولايات المتحدة من صدام "بعبعاً" (the Bull) يهدد جيرانه – بعد احتلاله وابتلاعه الإمارة الناعمة – وهو في طريقه لغزو بقية دول الخليج. فتمكنت أمريكا من تشكيل تحالف دولي من أكثر من ثلاثين دولة وحصل على دعم سياسي وإعلامي دولي ومالي عربي.

واستنادا إلى فلسفة أفلاطون يرى اشتراوس أن الفضيلة (virtue) صعبة المنال في الواقع لذلك من الضروري أن نطلق أكاذيب للناس حول طبيعة الواقع السياسي.[١٠] إذن فرية امتلاك عراق صدام لأسلحة كيماوية هي امتداد لفلسفة الكذب تلك. ويرى أن النخبة تمتلك الحيقيقة، لكن يجب أن تحتفظ بها لنفسها وهذا يمنحها بصيرة وقوة لا يمتلكها الآخرون.

تتجلى الخطوط الأساسية للمحافظة الجديدة بأوضح صورها على خلفية منافستها المحافظتين المتمثلتين بالنزعة الليبرالية والتقليدية (حتى المحافظين المتدينين والشتراوسيين تحالفوا مع المحافظين الجدد وساهموا أيضاً في صياغة نبض المحافظة الجديدة). وهذه المقاربات الثلاث – التقليدية، الليبرالية (التحررية)، والمحافظة الجديدة – بدأت أولاً تتخذ الشكل الذي تبنته بُعيد الحرب العالمية الثانية. غير أن لكل منها جذور تاريخية وفلسفية أعمق أيضاً. فالتقليديون يستلهمون إدموند بورك Edmund Burke، ودعاة التحرر يتطلعون إلى آدم اسميث أو فريديريك هايك، والمحافظين الجدد يسترشدون بأفكار ألكسيس دو توكفيل.[١١]

في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية حاول عدد من المفكرين الاستثنائيين تبطبيق نزعة بوركية محافظة، تقليدية على الحياة العامة الأمريكية. بات هؤلاء يُعرفون باسم "محافظون جدد". كان أبرزهم راسل كيرك (Russell Kirk) الذل ألّف كتابا عام ١٩٥٣ الكتاب الأكثر مبيعا الذي حمل عنوان "العقل المحافظ" الذي أحدث تحولا في صفوف المحافظين حيث أفضى إلى الابتعاد

---

[٩] Leo Strauss quoted in the Adbusters magazine. In: Guy Caron, Ibid.

[١٠] Guy Caron, Ibid.

[١١] آدم ولفسن، المحافظون والمحافظون الجدد، في سلزر، المرجع السابق، ص ٣١٧.

عن نوع فلسفة برجوازية لوكية للاقتراب من أخرى ارستقراطية بوركية معتدلة.[١٢] وكتمييز بين هذه التيارات: "التقليدي يؤمن بأن الثقافة أو التاريخ هو العامل الرئيسي في الشؤون الإنسانية، في حين داعية التحرر يرى أن هذا العالم متمثل بالاقتصاد. أما السمة الفريدة لنزعة المحافظين الجدد فيمكن التقاطها في حرصها الشديد على تقويم السياسة عموماً والسياسة الديمقراطية خصوصاً.[١٣]

المحافظة الجديدة ... ولسونية جديدة؟

"المحافظة الجديدة" هي ولسونية[١٤] مع فارق كبير. كان وودرو وِلسون، الرئيس الأمريكي (١٩١٣ – ١٩٢١)، مؤمنا بإمكانية بلوغ هدفه (نشر الديمقراطية وقيم الحرية في العالم...) عبر التعويل على قدرة الإقناع لدى المؤسسات الدولية الشبيهة بعصبة الأمم. أما المحافظون الجدد فلا يرون مثل هذا الرأي؛ فهم ميالون لجعل الديمقراطية ممكنة من خلال الإطاحة بالأنظمة الدكتاتورية التي تهدد الأمن الأمريكي والنظام العالمي باستخدام القوة العسكرية إذا أخفقت سائر الوسائل الأخرى.[١٥] من هنا جاءت سياسات الاستباق والتحرك الأحادي عند الضرورة... من منظريها ليو شتراوس – كما سبقت الإشارة (وهو لاجئ من ألمانيا النازية وفيلسوف متخصص في العلوم السياسية، كان يدرِّس في جامعة شيكاغو وتوفي عام ١٩٧٣).

يلخص مراقب بريطاني حصيف (مارتن ولف) المشهد العالمي في نظرته إلى الطريق من ولسون إلى بوش قائلاً: "إن المحافظين الجدد ولسنيون في غاياتهم ولكنهم معادون للولسنية في وسائلهم. فعلى النقيض من ولسُن، يؤمنون بإمكانية تحقيق التحولات المطلوبة عن طريق الولايات المتحدة المحررة من القيود الدولية ... يرى المحافظون الجدد أن الديمقراطية والحرية هما أفضل طرق حياة الناس .. ومع ذلك فإن الولايات المتحدة تبدو مؤمنة بأن القوة، لا الحق، هي التي توصِّل إلى الحقوق"[١٦].

---

[١٢] آدم ولفسن، المرجع السابق، ص ٣١٨.
[١٣] المرجع نفسه، ص ٣٢٥

[١٤] في يوم ٨ يناير ١٩١٨ أعلن ولسون في خطاب نقاطه الـ (١٤) الشهيرة؛ من بين هذه النقاط: عقد مواثيق للسلام يتم التوصل إليها من خلال الدبلوماسية العلنية المفتوحة وليست السرية؛ حرية الملاحة البحرية؛ إزالة كل الحواجز الاقتصادية بين الدول؛ تخفيض حجم التسليح في كل الدول؛ أن تكون كل السياسات الخاصة بالمستعمَرات محايدة (impartial)؛ حق تقرير المصير للشعوب؛ وتأسيس عصبة للأمم تضمَن الاستقلال السياسي لكل الشعوب.

[١٥] إرون سلزر (تحرير)، **المحافظون الجدد** (نقله إلى العربية فاضل جتكر)، الرياض: مكتبة العُبيكان، ٢٠٠٥، ص٢٦
[١٦] المرجع نفسه، ص ٢٧.

ويزعم المحافظون الجدد أن لأفكارهم جذور عميقة في التاريخ الأمريكي والبريطاني (من أنصارهم مارجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا الراحلة وكذلك توني بلير). وقد تبنى أفكارهم رؤساء أمريكان في سياساتهم مثل جون كوينسي آدمز وثيودور روزفيلت. ويرجعهم البعض إلى الأفكار (الفكتورية) وما قبلها. بل هناك من يرجعهم إلى فلسفة جون لوك التي تقول: "إن على الناس في دفاعهم أن يبادروا إلى التحرك قبل فوات الأوان، وقبل أن يصبح الشر عصياً على العلاج".[١٧] ولم يكتف أنصار المحافظة الجديدة من الساسة بالجانب التطبيقي فقط لهذه الفلسفة بل أسهموا بكتابات في هذا السياق. ومن هؤلاء: توني بلير (رئيس الوزراء البريطاني)، وسلفه مارجريت تاتشر، وجون بولتن، و جورج وِل، وجين كيركباتريك وآخرون.[١٨]

منذ التسعينات من القرن العشرين بدأ تيار المحافظين الجدد يؤثر في السياسة الخارجية الأمريكية. وهناك من يرى أنهم إفراز للمثقفين الليبراليين المحبطين في سبعينات القرن العشرين عندما بدأت قوة أمريكا تتراجع أمام التوسع السوفيتي في العالم. وبتأثير المحافظين الجدد تخلت أمريكا عن سياستها الخارجية التقليدية وأصبحت قوة مهيمنة إمبريالية أحادية، أو قوة مفرِطة مُولِعَة بالضربات الاستباقية ضد أي دولة ترى أنها تشكل تهديداً لأمنها.

يرى البعض أن المحافظين الجدد ما هم إلا مجرد(عصابة). ويُقال أن مركز قيادة هذه العصابة هو مشروع القرن الأمريكي الجديد.. ومن ممارسي سياسة المحافظين الجدد: جورج دبليو بوش، وديك شيني. وعلى الرغم من ذهاب هؤلاء إلا أن تأثيرهم ما زال فاعلاً في السياسة الأمريكية الداخلية والخارجية. وقد استغل المحافظون الجدد الرعب الناتج عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ لاعتناق نظرة عالمية إمبريالية صارخة. وهناك من يرى أن المحافظين الجدد ليس حركة أو حتى تيار بل نزعة. وهناك من يرى أن المحافظين الجدد تعني (اليهود) وهم ليسوا إلا عملاء لإسرائيل وأنهم يعبرون عن ولاء مزدوج.!

ويُقال إن مركز قيادة هذه "العصابة" هو مشروع القرن الأمريكي الجديد، أو (البانك PANC): "Project for the New American Century"، وهو تنظيم أسسه وليام بِل كرستول William Bill Kristol في ١٩٩٧ في سبيل "تدعيم قيادة أمريكا لكوكب الأرض".[١٩] ومن مؤسسي المشروع الآخرين: ديك تشيني، دونالد رامسفيلد (Donald Rumsfeld)، بول ولفوفيتز (Paul Walfowitz) وإليوت آبرامز (Elliot Abrams).

من منتقدي سياسة المحافظين الجدد البروفيسر فرانسيس فوكوياما الذي يرى أن المحافظة الجديدة قد أفشلت أمريكا بسبب أن قادة أمريكا لم يستوعبوا بصورة صحيحة المبادئ

---

[١٧] المرجع نفسه، ص ١٦.

[١٨] أسهموا بفصول في كتاب: Irwin Stelzer (editor), ***Neo-Conservatism*** (2004) London: Atlantic Books

[١٩] إرن سلزر، المرجع السابق، ص ١٨.

الجوهرية التي قامت عليها هذه الفلسفة. وقد وجه فوكوياما انتقاداً شديدا للمحافظة الجديدة في كتابه: ""أمريكا على مفترق الطرق..." AMERICA AT THE CROSS ROADS: Democracy, Power and the Conservative Legacy. فوكوياما في الأصل من المحافظين الجدد. لكنه يرى أن الساسة الأمريكان قد انحرفوا عن قيم هذه الفلسفة – أو شوهوها. وقال أن أفضل وصف لسياسة أمريكا الخارجية اليوم هي أنها "ولسونية واقعية" *realistic Wilsonianism*.

في كتابه "أمريكا على مفترق الطرق" ذهب البروفيسر فرانسيس فوكوياما إلى أن المحافظة الجديدة قد فارقت جذورها. ووصف سياسة أمريكا الخارجية الحالية بأنها "وِلسونية واقعية". وقال إن أمريكا تحتاج للبحث عن بدائل أخرى لمستقبل استراتيجيات السياسة الخارجية. وحدد أربعة مبادئ رئيسية للمحافظة الجديدة التي تؤثر في صناعة قرارات السياسة الخارجية: أولاً: الشخصية الداخلية للدولة تؤثر على سلوكها خارجياً؛ ثانياً: يمكن توظيف القوة العسكرية الأمريكية كأداة لغايات أخلاقية؛ ثالثاً: انعدام الثقة في القوانين والمؤسسات الدولية؛ رابعاً: هناك شك حقيقي في فعالية "الهندسة الاجتماعية".

ويرى فوكوياما – في كتابه – ضرورة نشر الديمقراطية في الشرق الأوسط كوسيلة فاعلة لاضعاف التهديد الذي ينتج عن أي عنف في المستقبل ويحد من انتشار الإرهاب. ويحبذ فوكوياما استخدام القوة الناعمة (مثلما رأى ذلك من قبله جوزيف ناي) بدلاً عن التدخل بالقوة العسكرية وذلك من خلال تقديم المساعدات للتنمية الاقتصادية والإشراف على الانتخابات ودعم الأنشطة المدنية. ويرى فوكوياما أن الإسلام الراديكالي هو ببساطة إفراز مباشر للعولمة وسببه فقدان الهوية الوطنية التي تأثرت بانتقال العالم إلى مجتمع الحداثة المتعدد. ويقترح فوكوياما استخدام المؤسسات الدولية المتداخلة و(المتنافسة أحياناً) مع ممارسة ما اسماه "التعاون والتبادلية عالية التعدد: multi-multilateralism" كأفضل وسيلة للقضاء على الإرهاب. وقال على الولايات المتحدة أن توظف قدراتها لقيادة العالم بالقدوة وبالتعليم وبالتدريب (أيضا مسكون بالزهو والنزعة الأمريكانية) وأن تقدم النصح للدول جنبا إلى جنب مع المساعدات الاقتصادية (أظن "النصح" هنا تلطيف لكلمة "تدخل") للقضاء على الفقر واليأس وعدم الثقة والاحباط وانعدام التعليم وهي كلها تشكل في رأيه عوامل توليد – أو التربة الخصبة – لإرهابي الإسلام الراديكالي.

واضح أن فوكوياما يفضل الجزرة على العصا. لكنه يستدرك أن التعامل مع الإرهابيين العنيفين قد يستدعي الضربة الاستباقية. لكن تكمن المشكلة في متى وكيف تتم الضربة الاستباقية (preemption)؟ ومدى شرعية هذه الضربة. كذلك يستدرك بأن اللجوء إلى القوة

يجب أن يكون بعد استنفاد كافة الوسائل الأخرى بما فيها الدبلوماسية. بيد أنه ينبه إلى الحذر في التعامل مع الإرهابيين مع توقُّع أسوأ السيناريوهات من بينها احتمال إمتلاك الإرهابيين أسلحة الدمار الشامل أو أسلحة بيولوجية وكيماوية التي ربما يستخدمونها بدافع الانتقام. ومع ذلك يرى أن إدارة بوش (الابن) أعطت تقديرا مضخما overestimated لقوة أسامة بن لادن.[٢٠]

يرى المحافظون الجدد أن الأمم المتحدة عجزت عن أداء دورها مثل تحقيق الإزدهار والأمن. فالمحافظون الجدد من أمثال جين كيركباتريك (سفيرة الولايات المتحدة في الأمم المتحدة في عهد الرئيس ريجان) وروبرت كيغن ينظرون إلى الأمم المتحدة نظرة مفعمة بالشك، لذلك هم يتجاوزونها كما في حالة العراق وأفغانستان مثلاً. ويصفهم البعض بأنهم ليسوا ولسونيين معتدلين بل هم ولسونيون متشددون يؤمنون لا بصفحات الورق بل بالقوة – بقوة الولايات المتحدة الأمريكية خصوصاً. وأن الولايات المتحدة تبدو مؤمنة بأن القوة، لا الحق، هي التي توصل إلى الحقوق!!

ويؤمن هؤلاء بضرورة نشر قيمهم – قيم الديمقراطية – حتى ولو بالقوة لأن "الدول الديمقراطية لا تشعل حروباً" وبالتالي فإن "نشر قيمنا يجعلنا أكثر أمناً". إذاً المحافظون الجدد هم ولسونيون في غايتهم لكنهم ليسوا كذلك في وسائلهم. ويبدو أنهم سعوا إلى إعادة هندسة الوضع في العراق على أساس هذه الفلسفة ولكنهم فشلوا في ما يخص الشأن السوداني فقد تمكنت المعارضة السودانية في أمريكا في فترة حكم البشير أن تصل لهؤلاء المحافظين عبر النشطاء في مجال السياسة والقانون وحقوق الإنسان مثل برندرقاست، والنائب فرانك وولف وروجر ونتر وجورج كلوني وغيرهم ، لذلك كان نصيب الحكومة السودانية دائما (العصا) بدلاً عن الجزرة رغم إيجابية بعض تقارير المبعوثين الخاصين (مثل اسكوت قرايشون).[٢١]

فالمحافظة الجديدة التي ساعدت في صياغة مبدأ بوش والذي ركز على الإطاحة بصدام حسين أثبتت تجربة العراق فشلها أو فشل عملية الهندسة الاجتماعية وانتهى الوضع في العراق إلى فوضى تهدد وحدة العراق واستقرارها (وبالتالي معوق لتطبيق الديمقراطية التي يهدف لها المبدأ في النهاية). وقد فشلت إدارة بوش في حسن تقدير تكلفة إحداث التغيير في العراق بالقوة، وفشلت في تقدير صعوبة إعادة التركيب بعد نجاح العملية العسكرية.[٢٢]

---

[٢٠] المصدر نفسه.

[٢١] عبدهـ مختار، المحافظون الجدد، صحيفة **السوداني**، الخرطوم: ٢٠١٣/٦/٢٥.

[٢٢] عبدهـ مختار، المحافظون الجدد، مقال في صحيفة **السوداني**، الخرطوم: ٢٠١٣/٧/٢.

يذهب البعض إلى أن المحافظون الجدد ما هم إلا "المحافظون اليهود"؛ وأن جورج بوش قد أضحى أسير شلة من المستشاريه اليهود الذي يتركز هدفهم الحقيقي لا على الدفاع عن الولايات المتحدة بل على خدمة مصالح إسرائيل الأمنية.[٢٣] ويرى مراقب آخر "إن بعض المحافظين الجدد يهود... مؤيدون ثابتون لسياسات حزب الليكود... وأن المحافظين الجدد الأمريكان دأبوا، على امتداد سنين طويلة، على نشر الدعايات المروجة لحق إسرائيل، "[٢٤] وأن هؤلاء يحملون ولاءً مزدوجاً.

المحافظوم الجدد والعالم العربي/الشرق الأوسط الكبير:

لو نظرنا إلى تركيبة النخبة الأمريكية الحاكمة في عهد الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش الإبن (٢٠٠١ – ٢٠٠٩) نجد أنه يغلب عليها المافظون الجدد (Neo–Conservatives) وهم مجموعة من المتشددين الذين يرون أن على الولايات المتحدة الأمريكية "أن تشق طريقها في العالم لتحقيق أهدافها دون أن تعبأ بكوابح المؤسسات الدولية السائدة".[٢٥] وظهرت **رؤية جديدة** للسياسة الخارجية الأمريكية ربطت بين اهتمامات قدامى المحافظين الاجتماعيين مثل اليمين المسيحي؛ تربط هذه المجموعة السياسة الخارجية بالصراع بين الخير والشر. وأصبح الإرهاب هو المبدأ الأساسي الموحِّد والمنظِّم لرؤية هذه النخبة.[٢٦]

بعد حادثة التفجيرات التي تعرضت لها أمريكا في ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ وضعت الولايات المتحدة الأمريكية استراتيجية قومية لمكافحة الإرهاب والتي شكلت الإطار السياسي لإجراءات منسقة تهدف إلى الحيلولة دون وقوع هجمات ضد الولايات المتحدة ومواطنيها ومصالحها حول العالم. تمحورت هذه الاستراتيجية في تفكيك البنية التحتية للإرهاب.

اعتبرت الولايات المتحدة الأمريكية الأنظمة الحاكمة في الشرق الأوسط – باستثناء إسرائيل – أنظمة مستبدة وفاسدة وتتسم بالمركزية لرفضها المستمر للمشاركة وللتعددية السياسية وانتهاكاتها للحريات المدنية. بأشكالها المختلفة. وترى أن حكومات بهذا المستوى غير مفيدة في

---

[٢٣] جون بودهورتز، بلد بوش: كيف أصبح دوبيا رئيساً عظيماً مطيَّراً صواب الليبراليين (نيويورك: سينت مارتن، ٢٠٠٤) ص ٥٩؛ في: إرون سلزر، المرجع السابق، ص ٢٠.

[٢٤] ***The Independent***, UK, 4.12.2002. Also: The Spectator, 24.4.2004, p. 25.

[٢٥] حسن حاج علي، السياسة الأمريكية تجاه السودان: التحول من السياسة الخارجية إلى السياسة الداخلية" (ورقة قُدمت إلى: ندوة مركز دراسات الشرق الأوسط وأفريقيا حول "العلاقات السودانية الأمريكية"، ٧- ٨ كانون الثاني/يناير ٢٠٠٣).

[٢٦] عبده مختار، مستقبل العلاقات ...، المرجع السابق، ص ٦٤.

مرحلة بناء الامبراطورية الأمريكية. نعم، لقد اعتمدت عليها الولايات المتحدة في الماضي أما اليوم فهي عبء على سياساتها الخارجية. لذلك ربط الرئيس بوش الابن مستقبل المنطقة واستدامة مصالح الولايات المتحدة فيها بمشروع "الشرق الأوسط الكبير".[٢٧]

وقد صممت إدارة بوش الابن على أن تقوم الولايات المتحدة بنفسها بهذه المهمة مباشرة وليس عبر إسرائيل. ويعني مهمة "إعادة هيكلة الوطن العربي والعالم الإسلامي" في ما يُعرف بمشروع الشرق الأوسط الكبير، ولم يقبل بمشاركة الآخرين بمن فيهم الحلفاء الأوربيون.[٢٨]

وفي إطار هذا الشرق الأوسط الكبير قدم وزير الخارجية الأمريكية الأسبق (كولون باول) مبادرة "الشراكة الأمريكية الشرق أوسطية" حيث ذكر أن هذه المبادرة "صُمِّمت لدعم الرجال والنساء والشباب في الشرق الأوسط في سعيهم نحو الديمقراطية والحريات المدنية وحكم القانون."[٢٩] ويقوم مشروع الشرق الأوسط الكبير على تحالف عريض بمشاركة أطراف غير عربية: إسرائيل وتركيا وباكستان وأفغانستان ومستقبلا إيران بعد إعادتها إلى الحظيرة الأمريكية. في هذا هذا المشروع الأمريكي **تتجلى تأثيرات واختراقات المحافظين الجدد للمجتمعات العربية** والشرق أوسطية. وقد جاءت "**صفقة القرن**"[٣٠] كامتداد لهذا المشروع.

ويأتي ذلك أيضا في سياق توازن متسق مع سياسة الجزرة والعصا (carrot and stick) – قمع الإرهاب جنبا إلى جنب مع تقديم المساعدات وبناء التحالفات. لكن الأخطر هو محاولات اختراق المجتمعات في العالم العربي والإسلامي والشرق الأوسط (الكبير/الجديد). وقد

---

[٢٧] عبده مختار، المرجع السابق، ص ٦٣.

[٢٨] Madeleine Albright, "Bridges, Bombs, or Bluster?" Foreign Affairs, vol. 82, no. 5 (September-October 2003)

[٢٩] http://www.aljazeera.net

[٣٠] حسب خطة الولايات المتحدة الأمريكية فإن الدول التى تريدها فى هذه الصفقة هى: الأردن، مصر، السعودية، الولايات المتحدة الأمريكية، إسرئيل. وتبعاً لبنود الإتفاق النهائى للصفقة فإنه سيتضمن ما يلى:

١. إقامة دولة فلسطينية تشمل حدودها قطاع غزة والمناطق(أ،ب) وأجزاء من المنطقة (ج) فى الضفة الغربية.
٢. توفر الدول المانحة ١٠ مليارات دولار لإقامة الدولة وبنيتها التحتية بما فى ذلك مطار وميناء بحرى فى غزة، والإسكان والزراعة والمناطق الصناعية، والمدن الجديدة.
٣. وضع القدس وقضية عودة اللاجئين سيؤجلان لمفاوضات لاحقة.
٤. مفاوضات حول محادثات سلام إقليمية بين إسرائيل والدول العربية، بقيادة، المملكة العربية السعودية.

كما تشمل الصفقة تنازل مصر عن ٧٧٠ كلم مربع من أراضى سيناء لصالح الدولة الفلسطينية المقترحة، هذه الأراضى التى ستُضم إلى غزة ستضاعف مساحة القطاع ثلاث مرات؛ ويتنازل الفلسطينيون عن ١٢% من مساحة الضفة لتدخل ضمن الأراضى الإسرائيلية ...(للمزيد أنظر: https://www.shoruknewes.com, 17Sept. 2018. https://m.marefa.org)

دعمت بصورة مباشرة – أو غير مباشرة من خلال تشجيع حلفاءها مثل الاتحاد الأوربي والمنظمات الدولية وغيرها – منظمات المجتمع المدني في التدريب ورفع القدرات وقضايا المرأة وحقوق الإنسان والبحوث والأنشطة المختلفة.[٣١] و يبدو أن الولايات المتحدة الأمريكية ومن خلال قراءتها للمتغيرات الجديدة في الشرق الأوسط تحت ظل التأثيرات "الإيجابية" للعولمة تنبأت (قبل ثورات الربيع العربي) بحدوث تحولات قادمة في الشرق الأوسط تقودها أجيال جديدة، فحاولت استباق التحولات لتوجيه مسارها بما يُبقي الأنظمة/الأجيال القادمة تحت مظلتها والحفاظ على الوضع الراهن (the status quo)، وذلك من خلال التأثير على العقول واحتوائها قبل أن تصل إلى الحكم مستقبلاً.

فالسياسة الخارجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط التي تأثرت بأفكار وتوجهات **المحافظون الجدد** تسعى إلى صياغة وإعادة ترتيب هذه المنطقة وفق أسس التوجه الكوني الأمريكي، عبر تسويق نهج جديد للهيمنة "القوة الخيِّرة" المتمعتة بمشروعية أخلاق ذات آفاق إنسانية تتعدّى الحدود القومية، معتمدة على استراتيجية ثلاثية التوجّهات منبعها مكافحة الإرهاب الدولي وتدمير أسلحة الدمار الشامل، وقوامها تأكيد نزعة التدخل الإنساني عبر نشر الديمقراطية، ثم نتائجها بناء الدول وحناية حقوق الإنسان وضمان حقوق الأقليات، والتعاضد الدولي لتحقيق الرفاهية وإعطاء موقع الصدارة للفكر والممارسة للسياسة الأمريكية.[٣٢] لكن تتحقق تلك الاستراتيجية مع خطة إضعاف الدول العربية من خلال تفكيكها مقابل تقوية إسرائيل.

في هذا السياق أعد معهد (راند) الأمريكي للدراسات الاستراتيجية في آب/أغسطس ٢٠٠٢ لحساب البنتاجون دراسة بعنوان: "كيف يمكن أن تكون الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط؟"؛ تدعو إلى إعادة النظر في الخارطة الجيوسياسية في الشرق الأوسط على قاعدة تفكيك

---

[٣١] كشف مقطع فيديو متداول عام ٢٠١٦ مشاركة منظمات المجتمع المدني في خطة مؤامرة إسقاط مصرقبل عام ٢٠٠٥، من خلال تمويل الولايات المتحدة الأمريكية واختراق أجهزة المخابرات المعادية لمنظمات المجتمع المدني بحجة دعم الديمقراطية في مجتمعات الشرق الأوسط. وأوضح الفيديو أن مؤسسات المجتمع المدني بدأت في الظهور والعمل في مصر والعالم العربي عبر برامج التمويل الأمريكية والبرامج التابعة للاتحاد الأوروبي، وذلك من خلال مجموعة من الأسماء وفي مقدمتها مركز ابن خلدون (تم سجن مديره د/ سعد الدين إبراهيم في عام ٢٠٠٢ لمدة سبع سنوات بتهمة تلقى أموال من جهات خارجية بدون ترخيص من الحكومة المصرية لدعم بحوث وأنشطة)، والمعهد الجمهوري والمعهد الديمقراطي، ومنظمة فريدوم هاوس ... وحذر الرئيس السابق لمنظمة العفو الدولية من أن جميع منظمات حقوق الإنسان مخترقة... أنظر موقع (اليوم السابع): ٢٠١٦/١٠/٥
http://www.videoyoum7.com/2924189؛ أنظر كذلك: http://www.hrw.org/reports/2002/egypt

[٣٢] نعوم تشومسكي وجلبير الأشقر، **السلطان الخطير: السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط** (بيروت: دار الساعي للنشر، ٢٠٠٧)، ترجمة وتحقيق ربيع وهبة وأمل حوا؛ عرض سوسن إسماعيل العساف، مجلة المستقبل العربي، العدد (٣٥٣) تموز/يوليو ٢٠٠٨، ص ١٧٩.

الدول المركزية في الوطن العربي: العراق، سوريا، السعودية، مصر ...[٣٣] وتشمل استراتيجية التفكيك والدمج الأقطار العربية وباكستان وإيران وتركيا وأفغانستان والكيان الصهيوني وتذويب الوطن العربي في محيط جيوسياسي واسع وتدرج الكيان الصهيوني في هذا المحيط. هذا **المشروع وضعه المحافظون الجدد** في إدارة بوش الابن لمنطقة تضم هذه الدول وأعلن عنه في آذر/مارس ٢٠٠٤ كجزء من المشروع الامبراطوري للسيطرة على العالم وثرواته تحت عناوين جاذبة، منها: تشجيع الديمقراطية، والحكم الرشيد، وبناء مجتمع المعرفة، وتوسيع الفرص الاقتصادية.[٣٤]

ويُعتبر نائب الرئيس الأمريكي الأسبق (ديك تشيني) – في عهد الرئيس جورج بوش الإبن – من أبرز **صقور المحافظون الجدد** حيث تندرج خطته في هذا السياق ويشمل ذلك: "إطاحة الرئيس صدام حسين؛ جعل إسرائيل دولة يهودية (صافية العرق)؛ طرد الفلسطينيين وتوطينهم في مناطق عراقية؛ إطاحة النظام السوري."[٣٥] وتندرج في هذا السياق خطة رسمها رالف بيترز الضابط السابق في الاستخبارات العسكرية الأمريكية ونشرها بعنوان: "حدود الدم: ما هو شكل شرق أوسط أفضل؟ في مجلة القوات المسلحة الأمريكية."[٣٦] ويعتبر فيها الحدود الفاصلة بين الدول في الشرق الأوسط حدود غير واقعية وغير طبيعية رسمتها بريطانيا وفرنسا بصورة غير عادلة لشعوب تلك الدول ما يثير فيها النزاعات والحروب بين الأقليات والأكثرية. فاتفاقية سايكس بيكو في رأيه لم تنصف الأقليات الكردية والشيعية والإسماعيلية والمسيحية. لذلك يرى في إعادة تقسيم منطقة الشرق الأوسط على أساس ديني، طائفي وإثني "حلاً عادلاً" يضمن السلام بين شعوبها.[٣٧]

وتبقى الأهم في استراتيجيات التفكيك والتجزئة والتقسيم خطة برنارد لويس، المستشرق الصهيوني **(مُرشد المحافظين الجدد)**، منظِّر "الفوضى الخلاقة" وواضع استراتيجية الغزو الأمريكي للعراق ولسياسة التدخل والسيطرة الأمريكية على المنطقة. تنصّ هذه الخطة على إعادة

---

[٣٣] ساسين عساف، مخاطر انهيار الدولة القطرية على مشروع الوحدة العربية، مجلة المستقبل العربي، العدد (٤٣٧)، السنة (٣٨) تموز/يوليو ٢٠١٥، ص ٦٠.

[٣٤] المرجع نفسه، ص ٥٣.

[٣٥] المرجع نفسه، ص ٦٠.

[٣٦] Ralph Peters, "Blood Borders: How a Better Middle East Would Look?" Armed Forces Journal (June 2006), http://www.armedforcesjournal.com/2006/06/1833899.

[٣٧] ساسين عساف، المرجع السابق، ص ٦٠.

تفتيت الأقطار العربية والإسلامية إلى وحدات عشائرية وطائفية ودفع الأتراك والأكراد والعرب الفلسطينيين والإيرانيين ليقاتل بعضهم بعضاً.[٣٨]

لقد استمر نفوذ المحافظين الجدد في السياسة الخارجية الأمريكية؛ وفي الآونة الأخيرة زاد ابتداءً من غزو العراق حيث ظل المحافظون الجدد مهندسو السياسة الأمريكية الخارجية تجاه الشرق الأوسط، فسياسة التعزيز العسكري في العراق هي **سياسة صممها المحافظون الجدد النافذون.** وقد ظهرت تلك السياسة في دراسة لمعهد أمريكان انتربرايز (American Enterprise Institute) – مصنع الأفكار ذاته في واشنطون الذي يمارس نفوذاً على السياسة الخارجية الأمريكية تجاه العراق والشرق الأوسط.[٣٩]

وتمخضت عن تلك الدراسة ثلاثة محاور للسياسة الخارجية الأمريكية تجاه العراق والشرق الأوسط: ١/ التصعيد في العراق؛ ٢/ التأكيد على إيران كعدو؛ ٣/ إحياء الأحلاف القديمة. وهذه النقطة الأخيرة قد ارتبطت باستراتيجية مكافحة الإرهاب. فإدارة بوش استنتجت بعد ١١أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ أن سياسة الولايات المتحدة في الماضي في الشرق الأوسط كانت مخطئة. في الماضي حاولت الولايات المتحدة أن تحافظ على الاستقرار في المنطقة، حتى حينما كان هذا يعني دعم نظم حكم الأقلية (الأوتوغراطية). مع ذلك لم تكن المحصلة استقراراً وإنما كانت انتشاراً للإرهاب. لقد مضت الحجج إلى القول إن نظم الحكم الأوتوغراطية خلقت إحباطا بين شعوبها بمنعها المشاركة وتنفيذها سياسة اقتصادية فاشلة. وفرت الشعوب العربية – التي قُمعت سياسياً وأُفقرت – أرضاً خصبة لانتشار الإرهاب، وبدلاً من أن تحاول الولايات المتحدة الأمريكية إرساء الاستقرار تعين عليها أن تدعم الديمقراطية والنمو الاقتصادي.[٤٠] ويرى المحللون أن عملية دعم أمريكا للديمقراطية في الشرق الأوسط هي مجرد خطابة؛ وأغلب الظن أن الإدارة الأمريكية ترغب في أن تدخل هذه النظم "بعض الإصلاحات المعتدلة على نظمهم لتبدو أكثر قبولاً."[٤١]

---

[٣٨] ساسين عساف، المرجع السابق، ص ٦١.

[٣٩] مارينا أوتاواي (Marina Ottaway)، سياسة إدرة بوش في الشرق الأوسط أمام مآزق متعددة الأبعاد والمكونات، مجلة المستقبل العربي، العدد (٣٣٨) نيسان/أبريل ٢٠٠٧، ص ٣٨.

[٤٠] المرجع نفسه، ص ٤١.

[٤١] نفسه، ص ٤٢

وأخيراً يمكن تلخيص تصور منظري السياسة الخارجية للوضع الدولي الراهن كما يلي: في جانب (أو في كفة) الولايات المتحدة الأمريكية: الديمقراطية، المُثُل، التسامح الديني، الحرية والإيمان بالكرامة الإنسانية؛ مقابل (الكفة الأخرى) الإسلام الراديكالي، الشريعة، عدم التسامح الديني religious intolerance، القمع واخضاع البشرية للحكم الإسلامي... أي أن الغرب (أمريكا) في كفة الخير، بينما الإسلام، الإسلاميين والشريعة في كفة الشر – أو هكذا يمكن أن نفهمهم، وهكذا يختزلون رؤيتهم للعالم اليوم.!!

تأثير المحافظون الجدد:

يتفق الكثيرون على قوة تأثير المحافظين الجدد في السياسة الأمريكية. فقد علّق أحد الكُتّاب عن تأثيرهم على الرئيس بوش (الابن) قائلاً: "يبقى الرئيس بوش شخص ذا جاذبية غير أنه بات فيما أعتقد أسير لفريق المحافظين الجدد المحيطين به".[٤٢] ويرى مارفن ميرز: "إن المحافظة الجديدة قناعة تتجلى عبر الزمن ولكن على نحو شاذ وغريب، وقناعة لا تتمكن من الامساك الواضح بمعناها إلا بعد مرور الزمن."[٤٣]

وساد الاعتقاد بأن المحافظين الجدد قد استولوا على السياسة الخارجية في أمريكا، وتدفقت النظريات المتحدثة عن وجود عصابة محكمة التنظيم من المحافظين الجدد موجة إثر موجة.. وأن العالم خاضع لتحكم قوى محكمة التنظيم وخبيثة النوايا ويتركز تأثيرهم عبر بعض المشروعات مثل مشروع القرن الأمريكي (PANC) التي يصفها البعض بأنها ما هي إلا هيمنة (يهودية أوروبية شرقية)...[٤٤] ويزداد المراقبون كل يوم قناعة بأن ظاهرة المحافظين الجدد مستمرة ومتجددة "تبقى اليوم ... أقوى من أي وقت مضى لأنها ما زالت توفر التوجيه الأساسي الأكثر اقناعاً فيما يخص دور أمريكا في العالم."[٤٥]

وفي مجال تقييم/تقدير تأثير المحافظين يرى بعض المراقبين أنهم يمتلكون ذكاءً يعوِّض عن التفوق المالي لخصومهم السياسيين: "لدينا ما يؤكد امتلاك المحافظين الجدد مستوى حاصل ذكاء وابداع يمكنانهم من التغلب على الموارد المالية المتقوقة التي ينعم بها خصومهم

---

[٤٢] Howard Deen, US News and World Report, 1.8.2003.

[٤٣] إرفنغ كريستول، قناعة المحافظة الجديدة: ماذا كانت، وكيف أصبحت؟، في: سلزر، المرجع السابق، ص ٥٩.

[٤٤] ديفيد بروكس، عصابة المحافظين الجدد وأساطير أخرى. في: سلزر، المرجع السابق، ص ٦٩.

[٤٥] وليم كرستول، تبقى المحافظة الجديدة أساس السياسة الخارجية الأمريكية، حزيران/يونيو ٢٠٠٤، في سلزر ، المرجع السابق، ص ١٢٤.

السياسيون... اليمين أفضل بكثير على صعيد انتاج الأفكار المؤهلة لوضع جداول الأعمال،[٤٦] (agenda setting).

على عكس ما توقع البعض بانحسار تأثير المحافظين الجدد على السياسة الأمريكية بعد الرئيس جورج بوش الابن إلا أن الواقع الراهن أثبت أنهم تيار لم يمت. "لم ينته تأثير المحافظين الجدد، ولم يموتوا مع فوز أوباما، لكن ... مستقبلهم مرتبط بجملة من العوامل ترتبط برد فعلهم إزاء التطورات التي تشهدها الساحة الأمريكية على الصعيدين الداخلي والخارجي."[٤٧]

رصد البعص عدة عوامل لاستمرارية تأثيرهم على السياسة الأمريكية رغم بعض تغلبات ذلك التأثير. من هذه العوامل:[٤٨]

أولاً: إن التيار المحافظ الجديد حسب أحد أقطابه تشارلز كروتهمز ليسوا حركة سياسية بالمعنى المعروف تمتلك مؤيدين على المستوى الجماهيري، ولكنهم في حقيقة الأمر **تيار وتوجه لرؤية السياسات الأمريكية بأسلوب معين.** لذا فإنهم لا يشكلون قوة سياسة في حد ذاتها بقدر استعانتهم بالأحوال السياسية التي هيأت لهم القدرة على التأثير ولعب دور في السياسة الأمريكية. فتأثيرهم يقوى ويضعف وفقًا للأحوال الداخلية وطبيعة المصالح والتحديات التي تواجهها الولايات المتحدة. فقبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول ٢٠٠١ لم يكن لهم تأثيرٌ يذكر في السياسة الأمريكية على الصعيد الخارجي. ولكن تصاعدهم في النفوذ ارتبط بصورة أساسية بقدرة قياداتهم على استثمار تلك الأحداث ووصول الرئيس بوش وتبنيه جزءًا كبيرًا من أفكارهم وأجندتهم. **ثانياً:** للمحافظين الجدد مؤسساتهم البحثية الفاعلة على الساحة السياسية الأمريكية كمعهد أمريكان إنتريرايز، مؤسسة التراث (هيرتيدج)، المعهد اليهودي لشئون الأمن القومي، مركز السياسة الأمنية، معهد هدسون ومشروع القرن الأمريكي الجديد. وبعد فوز أوباما في الانتخابات الرئاسية الأمريكية أنشاء مؤسسي مشروع القرن الأمريكي الجديد روبرت كاجان ووليام كريستول مع دان سينور المتحدث باسم سلطة التحالف المؤقتة في العراق مؤسسة جديدة "مبادرة السياسة الخارجية" والتي نظر إليها على أنها بداية تطوير أفكار المحافظين الجدد مع تولي إدارة جديدة

---

[٤٦] جون مكلويت وأدريان وولدريج (من كُتّاب الإيكونوميست): "مرحى للمحافظين الجدد! لقد أنجزوا المهمة"، النيويورك تايمز، ٢٠٠٤/٥/١٨.

[٤٧] عمرو عبد العاطي، "المحافظون الجدد: تيار لم يمت، الجزيرة نيت، ٢٠١٠/١/٢٥.

[٤٨] المصدر نفسه.

تتبني أفكارا مغايرة على غرار مشروع القرن الأمريكي الذي أنشأ مع فوز "بيل كلينتون" بفترة رئاسية ثانية في عام ١٩٩٧.

وما يعزز من رواج أفكارهم أن لهم أيضًا صحفهم التي يسيطرون عليها والمعبرة عن آرائهم بشكل أساسي مثل "مجلة كومنتري"، و"مجلة ناشيونال ريفيو"، و"مجلة ويكلي ستاندارد"، و"نيو ريبابليك"، و"ناشيونال إنتريست"، و"بابليك إنتريست"، وغيرها. كما يكتبون بشكل دوري في ثلاث من أكبر الجرائد الأمريكية، حيث يكتب "ماكس باوت" لصحيفة "لوس أنجلوس تايمز" ويكتب "ديفيد بروكس" و"وليام كريستول" لـ"نيويورك تايمز" ويكتب "روبرت كاجان" و"تشارلز كروتهمز" لـ"واشنطن بوست"، فضلاً عن سيطرتهم على مقالات الرأي بصحيفة "وال ستريت جورنال". وينشر كثير من أقطابهم بمجلة "الشئون الخارجية " Foreign Affair المتخصصة، ناهيك عن ظهورهم المتعدد في وسائل الإعلام الأمريكية والإذاعة. هذا الانتشار يمكنهم من التأثير على الرأي العام الأمريكي والمسئولين ونشر أفكارهم وتوجهاتهم وطرحها بموازاة آراء التيارات الأمريكية الأخرى.

ثالثا: كان المحافظون الجدد من الذكاء بحيث إذا خرج مسئول من منصب قيادي هام خلال فترة بوش الابن فإنهم كانوا يزرعون عناصر من كوادرهم، خاصة من متوسطي السن، في تلك الأماكن، مراهنين على المستقبل، أي على تصعيد كوادرهم إلى المناصب القيادية في المواقع التي يتواجدون فيها حاليًا. وبالتالي، تولي مقاليد الأمور في المرحلة القادمة بحيث تكون القيادة السياسية في أمس الحاجة إليهم لتيسير الأمور. ومن ثم تعود القيادة لهم مرة أخرى، ويحافظون على نفوذهم حتى في الفترة التي لا يمارسون فيها الحكم مباشرة. كما يمكنهم من خلال ذلك احتواء أي محاولات من الإدارات التي لا تتوافق معهم للتخلص من آثارهم في السياسات الأمريكية.

رابعا: إن أفكار المحافظين الجدد تنتشر عبر طيف الحياة السياسية الأمريكية، وداخل الحزب الديمقراطي –حزب أوباما– بين الجناح الديمقراطي الذي يطلق عليه "الديمقراطيون الجدد" أو "الديمقراطيون المحافظون الجدد" وهو جناح يتبني أفكارا قريبة من أفكار المحافظين الجدد مثل الدعوة إلى زيادة القوات في أفغانستان ومعارضة الانفتاح الأمريكي والحوار مع إيران، ومعارضة فتح تحقيقات في إساءات وانتهاكات إدارة بوش الابن لحقوق الإنسان في حربها على الإرهاب.

والكثير منهم قريب من أقرانهم في الحزب الجمهوري (معقل الفكر المحافظ). كثير من متبني أفكارهم أضحوا مسئولين كبار في إدارة أوباما مثل وزيرة للخارجية "هيلاري كلينتون" التي تصف نفسها أنها "صقر عسكري" ونائبه "جوزيف بايدن" والسفيرة الأمريكية في الأمم المتحدة "سوزان رايس"، فعلي سبيل المثال يدعون إلى ضرب السودان عسكريا بدلا من التركيز على الحل الدبلوماسي، ويدعون إلى أكبر حشد لمعارضة حكومة البشير. ناهيك عن دعوة بايدن لتقسيم العراق إلى ثلاث دول منفصلة. بالإضافة إلى "دينس روس "و"رتشارد هولبروك اللذين أنشآ مجموعة "متحدون ضد إيران النووية".

بالنسبة لتأثيرهم على العرب والشرق الأوسط فيتم ذلك من خلال عدة استراتيجيات وسياسات ومشروعات من بينها مشروع الشرق الأوسط الكبير الذي يقوم على تحالف عريض بمشاركة أطراف غير عربية (كما سبقت الإشارة). وتتعامل الولايات المتحدة الأمريكية في عملية الإصلاح مع مثلث الحكومات ورجال الأعمال والمجتمع المدني لكي يكون التأثير فاعلاً والاختراق مثمراً.[٤٩] كما أن الاستراتيجية الأمريكية بعد الحادي عشر من سبتمبر ترتكز على: (أ) استمرار الحرب الكونية ضد الإرهاب؛ (ب) استئصال الإسلام المتشدد وتشجيع الإسلام الليبرالي بالاستفادة من التجربة التركية؛ (ج) اتباع أسلوب مرن، لكنه حازم، مع دول صديقة لإجبارها على اتباع خطوات الإصلاح.

خاتمـــــة:

واضح أصبحت مجموعة المحافظين الجدد تسيطر على صناعة السياسة الأمريكية لفترة طويلة في الآونة الأخيرة. في إطار انغماسهم في العمل التنفيذي يظل الساسة الأمريكيون مهتمون بالتفكير بالسياسة الخارجية بالبحث عن إطار نظري تفسيري شامل من شأنه أن يقدم وصفاً لجملة التهديدات الجديدة والرد المناسب عليها. يبدو أنهم وجدوا ضالتهم في أفكار المحافظين الجدد الذين ينشطون باستمرار في تقديم هذه الخدمة من خلال مراكز البحوث والإعلام .

[٤٩] عبدهـ مختار، مستقبل العلاقات السودانية الأمريكية ...، المرجع السابق، ص ٦٤.

إذن المحافظون هو تيار مستمر وحركة سياسية فاعلة وأفكار مؤثرة في السياسة الخارجية الأمريكية لا يمكن تجاهلها. فهم موجودون في النظام السياسي الأمريكي – في المؤسسة the establishment – عبر الحزب الجمهوري، الذي ينتمي له معظم المحافظين وحتى عبر الحزب الديمقراطي حيث يتم تأثيرهم ومن خلال انتاج الأفكار في مراكز البحوث ومن خلال الإعلام وضغوط اللوبي اليهودي. هذا يعني عدم دقة القول بأنهم "عصابة" بل هم تيار وجماعة منظمة لها فلسفتها وجذورها التاريخية وتأثيراتها في الماضي وفي الحاضر وعلى الأرجح في المستقبل – طالما أنهم يمسكون بعصب التفكير السياسي في الفكر السياسي الأمريكي المعاصر.